الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

قضايا رئيسية في فلسفة العلوم الإنسانية

Key Issues in the Philosophy of Human Sciences

اسم المحاضر ة

خولة حسن المصري

المقدمة العامة للمقرر

- تتناول فلسفة العلوم الإنسانية دراسة الأسس النظرية والمعرفية التي تقوم عليها مناهج البحث في مجالات الإنسان والمجتمع. فالعلوم الإنسانية لا تكتفي بوصف الظواهر كما هي، بل تسعى إلى **فهمها وتأويلها واكتشاف المعاني التي تنطوي عليها**. ومن هنا ينبع البعد الفلسفي فيها، لأنها تحاول الإجابة عن سؤال: كيف يمكن معرفة الإنسان؟ وما حدود هذه المعرفة؟

إن هذا المقرر يمثّل مدخلًا تحليليًا لفهم الإشكالات الجوهرية التي تواجه الباحثين في هذا الحقل، من حيث العلاقة بين الفهم والتفسير، الذات والموضوع، العلم والقيمة، ليضع الطالب أمام الرؤية الفلسفية العميقة التي تميز العلوم الإنسانية عن غيرها.

المحاور الأساسية للمقرر

- **مدخل إلى فلسفة العلوم الإنسانية:** التعريف بالمجال، ونشأته، وأهميته الفلسفية.
- **تمييز العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية:** من حيث المنهج، الهدف، وطبيعة الموضوع.
- **مشكلة المنهج في دراسة الإنسان:** بين التفسير العلمي والفهم التأويلي.
- **الفهم والتفسير في الفكر الفلسفي:** دراسة دلتاي، فيبر، غادامير.
- **القيم والمعيارية في البحث الإنساني:** دور القيمة في تشكيل المعرفة.
- **الوضعية والفينومينولوجيا والتأويلية:** التيارات الكبرى المؤسسة للعلوم الإنسانية.
- **البنيوية وما بعد البنيوية:** تحليل الخطاب، المعنى، والبنية الثقافية.
- **فلسفة اللغة والمعنى:** علاقة اللغة بالوعي وبناء الواقع.
- **الإشكالات المعاصرة:** مستقبل العلوم الإنسانية في مواجهة التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي.

المخرجات التعليمية المتوقعة

- بعد إتمام المقرر، يُتوقَّع من الطالب أن يكون قادرًا على:
- **تمييز طبيعة المعرفة الإنسانية** وموقعها بين الفكر الفلسفي والعلمي.
- **تحليل المشكلات المنهجية** التي تواجه دراسة الظواهر الإنسانية.
- **توظيف المناهج التأويلية والنقدية** في قراءة النصوص والسلوك الإنساني.
- **مقارنة بين المناهج الطبيعية والإنسانية** من حيث الغاية والمفهوم.
- **تطوير مهارة النقد والتحليل الفلسفي** بما يربط الفكر النظري بالتطبيق العملي في ميدان الإنسان والمجتمع.
- **بناء وعي فلسفي منهجي** يساعد الطالب على مناقشة الأسئلة الكبرى حول الحرية، المعنى، والوعي الإنساني.

أهداف المقرر

- فهم الإطار الفلسفي للعلوم الإنسانية وموقعها ضمن منظومة الفكر الحديث.
- تحليل الإشكالات النظرية والمنهجية التي تواجه العلوم الإنسانية.
- التعرف على الاتجاهات الفكرية الكبرى (الوضعية، الفينومينولوجيا، البنيوية، التأويلية).
- تنمية القدرة على **نقد المناهج المعاصرة** في دراسة الإنسان.
- إدراك العلاقة الجدلية بين الفلسفة والعلم، وبين الفهم والتفسير.
- تمكين الطالب من توظيف المفاهيم الفلسفية في معالجة قضايا إنسانية واقعية.
- تعزيز روح الحوار والنقاش العلمي حول مكانة الإنسان في الفكر الفلسفي المعاصر.

توصيف المقرر

- يهدف هذا المقرر إلى تمكين الطالب من **فهم الإشكاليات الفلسفية المرتبطة بالعلوم الإنسانية** وموقعها بين العلوم الطبيعية والفكر الفلسفي.

كما يتناول العلاقة بين المنهج والمعرفة في دراسة الظاهرة الإنسانية، من خلال طرح تساؤلات حول **الموضوعية، التفسير، الفهم، القيم، والمعنى.**

يرتكز المقرر على التحليل النقدي لأهم التيارات الفكرية التي أسهمت في تشكيل فلسفة العلوم الإنسانية، مثل الوضعية التي سعت إلى إخضاع الإنسان لقوانين عامة، والفينومينولوجيا التي ركزت على التجربة والوعي، والتأويلية التي جعلت الفهم مركز المعرفة الإنسانية.

كما يربط بين هذه الاتجاهات وبين الأسئلة الراهنة حول مستقبل الإنسان في عصر التكنولوجيا.

أهمية المقرر

- تظهر أهمية المقرر في كونه يزوّد الطالب **بأدوات التفكير الفلسفي النقدي** لفهم الظواهر الإنسانية، ويكشف عن حدود ومجالات المعرفة التي تنتجها هذه العلوم.

فمن خلال دراسته يتعلم الطالب أن الإنسان ليس موضوعًا بسيطًا يُقاس ويُفسَّر، بل هو كائن ثقافي لغوي يعيش ضمن سياق اجتماعي وتاريخي.

كما أن المقرر يُبرز أهمية التفاعل بين الفلسفة والعلوم الإنسانية في صياغة المفاهيم الكبرى مثل الحرية، المعنى، والوعي.

وبذلك يهيئ الطالب لفهم القضايا الحديثة كأثر التقنية على الإنسان، وتحول المعنى في العالم المعاصر، ودور الفهم في بناء القيم.

مدخل إلى فلسفة العلوم الإنسانية

- يتناول هذا المحور الأساس الذي تقوم عليه العلوم الإنسانية بوصفها بحثًا في الإنسان ككائن عاقل واجتماعي.

فلسفة العلوم الإنسانية لا تدرس الإنسان كمادة خارجية، بل كفاعل في إنتاج المعنى والتاريخ والثقافة.

يشرح غولدمان أن خصوصية هذه العلوم تكمن في كونها **تبحث عن المعنى لا عن القانون**، أي أنها تحاول فهم الدلالات التي يمنحها الإنسان لأفعاله.

ولهذا فإن الفهم في هذه العلوم عملية تأويلية تتطلب مشاركة وجدانية وثقافية من الباحث.

ومن هنا تنشأ تميّزات هذه العلوم عن الطبيعية، وضرورتها لفهم الذات الإنسانية في عمقها الوجودي.

العلاقة بين الفلسفة والعلوم الإنسانية

- ترى الفلسفة أن العلوم الإنسانية ليست مجرد فرع علمي، بل امتداد للتساؤل الفلسفي حول الإنسان والمعرفة.

الفلسفة تقدم الإطار النقدي الذي يحدد حدود المنهج وشرعية التفسير، بينما توفر العلوم الإنسانية المادة التطبيقية للفكر الفلسفي.

وقد بيّن غولدمان أن الفكر الإنساني لا يُفهم إلا ضمن **كلٍّ جدلي يجمع النظرية بالممارسة**، والعقل بالتاريخ.

هنا تتكامل الفلسفة والعلوم الإنسانية في بناء معرفة تتجاوز الوصف إلى الفهم العميق للإنسان بوصفه كائنًا منتجًا للمعنى والقيمة.

إن هذا التكامل يجعل العلوم الإنسانية ساحةً خصبة لتجديد التفكير الفلسفي الحديث.

تمييز العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية

- يُظهر غولدمان أن الفرق الجوهري بين العلوم الطبيعية والإنسانية هو أن الأولى تبحث في ظواهر لا تعي ذاتها، بينما الثانية تدرس كائنًا واعيًا بوجوده.

العلوم الطبيعية تعتمد على الملاحظة والقياس والتجريب، أما العلوم الإنسانية فتعتمد على **الفهم والتأويل والتاريخية**.

إن الظاهرة الإنسانية مشبعة بالمعنى، ولا يمكن ردّها إلى قانون ميكانيكي بسيط.

لذلك يرفض كثير من الفلاسفة إخضاع الإنسان لنفس منطق التجريب الذي يحكم المادة، ويؤكدون أن الإنسان لا يُفسَّر بل يُفهم.

هذا التمييز هو ما يمنح العلوم الإنسانية هويتها الخاصة بين مجالات المعرفة.

نشأة العلوم الإنسانية وتطورها التاريخي

- ظهرت العلوم الإنسانية في القرن التاسع عشر استجابة لهيمنة النموذج الطبيعي.
- من روّادها أوغست كونت، دلتاي، وماكس فيبر.
- سعت إلى بناء علم يدرس الإنسان والمجتمع بمعايير مستقلة عن علوم الطبيعة.
- تميزت بتطورها مع الفينومينولوجيا والتأويلية والبنيوية في القرن العشرين.

مشكلة المنهج في دراسة الإنسان

- تعدّ مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية من أكثر الإشكالات الفلسفية عمقًا وتعقيدًا، لأنها تتعلّق بطبيعة المعرفة بالإنسان ذاته. يرى **لوسيان غولدمان** أن الإنسان لا يمكن أن يُدرَس كموضوع خارجي لأنّه **فاعل واعٍ ومنتِج للمعنى**، يحمل في داخله قيماً ودوافع لا تُقاس تجريبيًا.

فالمنهج الوضعي الذي يطبّق أدوات العلوم الطبيعية على دراسة الإنسان يؤدي إلى نتائج قاصرة، لأنه يتجاهل البعد الرمزي والثقافي للتجربة الإنسانية.

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى منهج جديد يقوم على **الجدلية بين الذات والموضوع، بين الفهم والتفسير**، أي بين ما هو علمي وما هو تأويلي.

هذا المنهج الجدلي لا يرفض العلم، لكنه يوسّعه ليشمل بعدي الوعي والتاريخ، فيصبح المنهج في العلوم الإنسانية **موقفًا فلسفيًا يربط المعرفة بالمعنى**، لا أداة تقنية محضة.

مفهوم الفهم والتفسير

- يشكّل التمييز بين "الفهم" و"التفسير" إحدى أهم القضايا في فلسفة العلوم الإنسانية. يرى **دلتاي** أن التفسير خاص بالعلوم الطبيعية لأنه يبحث عن الأسباب، بينما الفهم خاص بالعلوم الإنسانية لأنه يهدف إلى إدراك **المعاني الداخلية للفعل الإنساني**.

أما **غولدمان** فيؤكد أن الفهم لا يتحقق إلا من خلال إدراك العلاقة الجدلية بين الفرد والبنية الاجتماعية التي تمنحه المعنى.

فالفهم لا يعني التعاطف النفسي أو الإدراك الشخصي فقط، بل هو **عملية معرفية تأويلية** تقوم على ربط التجربة الفردية بسياقها الثقافي والتاريخي.

وهكذا يصبح الفهم في العلوم الإنسانية أداة لاكتشاف المعنى الذي تنتجه الجماعة البشرية، بينما يظل التفسير تحليلًا سببيًا محدودًا لا يكشف الجوهر الرمزي للفعل الإنساني.

الموضوعية في العلوم الإنسانية

- تُعدّ مسألة **الموضوعية** في العلوم الإنسانية من أكثر القضايا الفلسفية تعقيدًا، لأن الباحث الإنساني لا يدرس موضوعًا خارجيًا بالكامل، بل يدرس **إنسانًا يشاركه الوعي والثقافة**.

يرى **غولدمان** أن الموضوعية لا تعني الحياد المطلق كما في العلوم الطبيعية، بل تعني **الوعي بالذاتية وضبطها نقديًا**.

فالإنسان الباحث جزء من العالم الاجتماعي الذي يدرسه، ومن ثمّ لا يمكنه الانفصال عنه، لكن يمكنه أن يحقّق موضوعية نسبية عبر تحليل البنى والقيم التي ينتمي إليها.

الموضوعية في هذا السياق تتحقق حين يكون الباحث قادرًا على الانتقال من تجربته الفردية إلى فهم البنية الكلية للمجتمع التي تُنتج الظواهر الإنسانية.

وبذلك تصبح العلوم الإنسانية علمًا نقديًا يدرس شروط معرفته الذاتية، ويعي أن الحياد التام وهمٌ لا وجود له في دراسة الإنسان.

القيم والمعيارية في البحث الإنساني

- إنّ دراسة الإنسان لا تنفصل عن عالم القيم الذي ينتمي إليه، لأنّ الفعل الإنساني في جوهره **يحمل معنى ومعيارًا أخلاقيًا وثقافيًا**.

يرى **غولدمان** أن العلوم الإنسانية لا يمكن أن تكون حيادية تمامًا، فكل معرفة بالإنسان تتضمّن حكمًا معياريًا عن الخير والشر، والعدل والظلم، والحرية والمسؤولية.

القيمة ليست عنصرًا غريبًا عن البحث العلمي في الإنسان، بل هي **شرط لإدراك المعنى**، لأن الفعل الإنساني لا يُفهم إلا في ضوء الغاية التي يتجه نحوها.

وهكذا تصبح المعيارية جزءًا من البنية المعرفية ذاتها، إذ لا وجود لمعرفة بالإنسان دون وعي بقيمه ومقاصده.

إنّ فصل القيم عن المعرفة في العلوم الإنسانية يفرّغها من مضمونها الإنساني، ويحيلها إلى علمٍ ميكانيكيّ فاقدٍ للروح.

المعنى والتجربة الإنسانية

- يرى **غولدمان** أن المعنى هو جوهر التجربة الإنسانية، لأن الإنسان لا يعيش الوقائع كما هي بل يفهمها ويؤوّلها في ضوء منظومته القيمية والثقافية.

التجربة الإنسانية ليست أحداثًا متتابعة بل بناءٌ من **الرموز والدلالات** التي تعبّر عن الوعي الفردي والجماعي.

فالمعنى هو الذي يمنح الفعل الإنساني غايته ويحوّله من مجرد سلوك إلى تجربة ذات قصد.

إنّ دراسة الإنسان تقتضي تحليل البنية الرمزية التي تخلق هذا المعنى وتمنحه الاتساق داخل الثقافة والمجتمع.

وبذلك تصبح **فلسفة المعنى** في العلوم الإنسانية محاولة لفهم الإنسان من خلال اللغة، التاريخ، والوعي الجمعي الذي يصوغ تجربته في العالم.

المذهب الوضعي ونقده

- نشأ **المذهب الوضعي** مع الفيلسوف الفرنسي **أوغست كونت**، الذي رأى أن المعرفة الحقيقية هي ما يقوم على الملاحظة والتجريب فقط.

سعى الوضعيون إلى تحويل دراسة الإنسان إلى علم دقيق يخضع للقوانين نفسها التي تحكم الظواهر الطبيعية.

لكنّ **غولدمان** ينتقد هذا الاتجاه بشدّة، لأن الإنسان ليس كائنًا ماديًا بل كائنٌ واعٍ يمتلك الحرية والمعنى.

لقد أغفلت الوضعية البعد الذاتي والثقافي للتجربة الإنسانية، فحوّلت الإنسان إلى كائن ميكانيكي فاقد للتاريخ والرمز.

ومن هنا ظهرت مدارس فلسفية جديدة مثل **الفينومينولوجيا والتأويلية والبنيوية** التي أكدت أنّ فهم الإنسان لا يتم إلا من خلال وعيه بالعالم.

الفينومينولوجيا والتأويلية (الهرمنيوطيقا)

- الفينومينولوجيا، كما صاغها **هوسرل**، تدعو إلى العودة إلى "الأشياء ذاتها"، أي إلى التجربة كما تُعاش في الوعي الإنساني قبل أي تأويل علمي أو تجريبي.

أما التأويلية (الهرمنيوطيقا) فتهتم بفهم النصوص والرموز والأفعال من خلال اكتشاف **المعنى الكامن في التجربة الإنسانية**.

يرى **غولدمان** أن الجمع بين المنهجين ضروري لفهم الإنسان، لأن الفينومينولوجيا تكشف عن الوعي الذاتي، بينما التأويلية تفسر البنية الثقافية التي تحيط به.

هكذا تتكامل المناهج لتؤكد أن الإنسان لا يُعرف من الخارج بل من الداخل، من خلال فهم علاقته بالعالم والآخرين.

وبذلك تصبح العلوم الإنسانية **علماً للفهم والتواصل** لا علماً للقياس والتجريب.

دور الوعي في دراسة الظاهرة الإنسانية

- يعدّ **الوعي** المفهوم المركزي في فلسفة العلوم الإنسانية، لأنه الشرط الذي يمنح التجربة معناها.

يؤكد **غولدمان** أن الوعي ليس مرآة تعكس الواقع فحسب، بل **بنية فاعلة تبني علاقات بين الفرد والعالم**.

كلّ سلوك إنساني هو ثمرة تفاعل بين الوعي الفردي والبنية الاجتماعية التي يعيش فيها.

من هنا فإن دراسة الإنسان تقتضي تحليل هذا الوعي بوصفه وعيًا اجتماعيًا وتاريخيًا في آنٍ واحد.

إنّ الوعي هو الذي يحوّل العالم إلى معنى، ويحوّل الفعل إلى قصد، وهو الذي يجعل من العلوم الإنسانية علماً للفهم لا للوصف فقط.

فلسفة اللغة والمعنى في العلوم الإنسانية

- تُعدّ **اللغة** عند غولدمان والمفكرين المعاصرين البنية الأساسية التي تتجلى فيها الثقافة والمعرفة والمعنى.

فالإنسان لا يختبر العالم مباشرة، بل من خلال اللغة التي تنظّم إدراكه وتمنحه القدرة على التعبير والتأويل.

اللغة ليست أداة للتواصل فحسب، بل هي **وسيط للوعي وبنية للفكر**، إذ تُحوّل التجربة إلى رموز ودلالات مشتركة.

ومن هنا تصبح دراسة اللغة في العلوم الإنسانية بحثًا في كيفية إنتاج المعنى وتداوله داخل المجتمع.

إنّ فلسفة اللغة تكشف أن الحقيقة في العلوم الإنسانية لا تُعطى جاهزة، بل **تُبنى عبر الحوار والتفاعل والتأويل** بين الذوات.

البنيوية في العلوم الإنسانية

- تُعدّ **البنيوية** من أبرز التيارات الفكرية التي غيّرت منهجية دراسة الإنسان في القرن العشرين.

تقوم البنيوية على فكرة أن الظواهر الإنسانية — سواء كانت لغوية، ثقافية، أو اجتماعية — تخضع لبُنى عميقة ثابتة تُنظّمها وتمنحها المعنى.

يرى غولدمان أن البنيوية، رغم تركيزها على البنية أكثر من الإنسان، قدّمت إسهامًا مهمًا في تجاوز النظرة الفردية، إذ جعلت **البنية الاجتماعية والثقافية هي مركز الفهم**.

لكنّه ينتقدها لأنها غالبًا ما تهمل البعد التاريخي والجدلي للإنسان، فتحوّله إلى مجرّد "عنصر في نظام رمزي".

ويرى أن الحل هو في **البنيوية الجدلية** التي تجمع بين تحليل البنية وفهم التغيّر التاريخي والمعنى الإنساني داخلها.

ما بعد البنيوية وتحول المعنى

- ظهر تيار **ما بعد البنيوية** في النصف الثاني من القرن العشرين كردّ على النزعة الجامدة في الفكر البنيوي.

أبرز ممثليه **ميشيل فوكو، جاك دريدا، ورولان بارت**، الذين رأوا أن المعنى غير ثابت، وأن اللغة ليست نظامًا مغلقًا بل فضاء للتعدد والاختلاف.

في هذا الإطار لم يعد الإنسان هو مركز التحليل، بل **الخطاب** الذي ينتج الحقيقة ويشكّل الوعي.

يرى غولدمان أن هذا الاتجاه، رغم عمقه النقدي، يهدد بفقدان الإنسان ذاته كمصدر للمعنى، لأنه يفكك البنية دون أن يقدّم بديلاً عنها.

ولهذا يدعو إلى مقاربة توازن بين التحليل البنيوي والنزعة الإنسانية، تُبقي للإنسان دوره ككائنٍ واعٍ ومبدع للثقافة.

علاقة النص بالمجتمع

- يرى غولدمان أن النصوص الأدبية والفكرية ليست كيانات معزولة، بل هي **انعكاس للبنية الاجتماعية** التي تنتجها.

فكل نص يحمل داخله رؤية للعالم تعبّر عن موقع طبقة أو جماعة اجتماعية في التاريخ.

الكاتب لا يعبّر عن نفسه فحسب، بل عن **الوعي الجمعي** الذي يتجلى من خلاله.

ومن هنا تأتي فكرة "البنيوية التكوينية" التي ترى في العمل الثقافي نتاجًا لعلاقة جدلية بين الإبداع الفردي والواقع الاجتماعي.

تحليل النص إذًا هو تحليل للبنية الذهنية التي تعبّر عن العلاقات الاجتماعية، وهو ما يجعل النص وثيقة ثقافية واجتماعية بقدر ما هو عمل فني.

الإنسان كذات فاعلة

- على الرغم من التيارات التي حاولت تهميش دور الذات في إنتاج المعرفة، يؤكد **غولدمان** على أن الإنسان يظل **فاعلًا أساسيًا في بناء العالم الاجتماعي والثقافي**.

الإنسان ليس مجرد انعكاس للبنية أو نتاجًا لها، بل هو عنصر يشارك في تشكيلها عبر أفعاله الواعية والهادفة.

في هذا الإطار يرى غولدمان أن الفهم الحقيقي للإنسان يتطلب النظر إليه بوصفه **كائنًا تاريخيًا وجدليًا**، يعبّر من خلال نشاطه عن وعي جماعي متحوّل.

إنّ الذات الفاعلة هي التي تمنح التاريخ معناه، وتحافظ على وحدة الفكر والواقع في آنٍ واحد.

وبذلك تصبح دراسة الإنسان في العلوم الإنسانية دراسةً لقدرته على الفعل، والتغيير، وصناعة المعنى.

جدلية البنية والفاعل عند غولدمان

- يُعد مفهوم **الجدلية بين البنية والفاعل** من أهم إسهامات غولدمان في فلسفة العلوم الإنسانية.

يرى أن كلّ بنية اجتماعية تتكوّن من أفعال الأفراد، لكنها في الوقت نفسه **تتجاوزهم** وتؤثر في وعيهم وسلوكهم.

الفاعل الإنساني ليس حرًّا تمامًا ولا خاضعًا كليًا، بل يعيش داخل علاقة جدلية مستمرة مع البنية.

هذه الجدلية تتيح للإنسان أن يكون كائنًا تاريخيًا يعبّر عن **رؤية جماعية للعالم** دون أن يفقد استقلاله الفردي.

وبذلك يؤسّس غولدمان ما يسميه بـ **البنيوية التكوينية** التي تمزج بين التحليل البنيوي والبعد التاريخي للوعي الإنساني.

الاتجاهات الماركسية في فهم الإنسان والمجتمع

- تُعدّ **الماركسية** من أكثر الاتجاهات تأثيرًا في تطور فلسفة العلوم الإنسانية.

ترى الماركسية أن الإنسان لا يُفهم إلا في إطار علاقاته المادية والاجتماعية، وأن الوعي نتاج للبنية الاقتصادية التي تحدد شكل الفكر والثقافة.

لكنّ **غولدمان** يقدّم قراءة نقدية لهذه الفكرة، فيرى أن العلاقة بين الوعي والبنية ليست ميكانيكية بل **جدلية**، فالفكر لا يعكس الواقع فقط بل يساهم في تغييره.

في ضوء هذا الفهم، تصبح العلوم الإنسانية دراسة للإنسان بوصفه كائنًا تاريخيًا يعيش في صراع دائم بين البنية والحرية.

وهكذا يرى غولدمان أن الماركسية تُغني فلسفة العلوم الإنسانية لأنها تكشف **الروابط بين الفكر والواقع الاجتماعي** دون أن تلغي دور الوعي الفردي.

الفكر الوجودي والإنسان كاختيار

- يضع **الفكر الوجودي**، كما عند سارتر وميرلو بونتي، الإنسان في مركز الفلسفة بوصفه كائنًا يختار ويصنع ذاته بحرية ومسؤولية.

يرى **غولدمان** أن الوجودية قدّمت تصوّرًا عميقًا عن الإنسان كذاتٍ واعيةٍ وقادرة على الفعل، لكنها وقعت أحيانًا في **النزعة الفردية** التي تعزل الإنسان عن البنية الاجتماعية.

في نظره، لا يمكن فهم الحرية الوجودية إلا داخل الواقع التاريخي، لأن الوجود الإنساني دائمًا مشروط بالظروف الاقتصادية والثقافية التي يعيش فيها.

ومع ذلك، فإن الوجودية تُغني فلسفة العلوم الإنسانية بتأكيدها على المعنى والاختيار والمسؤولية، وهي مفاهيم تجعل الإنسان مركزًا للوعي والغاية.

فالمعرفة في منظور غولدمان هي دائمًا نتاج **تفاعل بين الحرية الفردية والبنية الجماعية**.

البنية التكوينية عند لوسيان غولدمان

- تُعدّ **البنية التكوينية** (La structure génétique)من أهم المفاهيم التي قدّمها غولدمان لتجديد فهم العلوم الإنسانية.

فهو يرى أن كلّ ظاهرة فكرية أو ثقافية يجب فهمها كبنية متكاملة نشأت من تفاعل بين الوعي الجماعي والظروف الاجتماعية.

هذه البنية ليست ثابتة بل **ديناميكية** تتغير عبر التاريخ، وتحمل في داخلها إمكانية التطور والتحوّل.

بهذا المفهوم، يربط غولدمان بين البنيوية والماركسية، في ما يسميه "البنيوية الجدلية"، التي تدرس الفكر بوصفه انعكاسًا للواقع وتعبيرًا عن وعي يسعى لتغييره.

إنّ فهم أي عمل إنساني يتطلب تحليل بنيته الداخلية في ضوء البنية الاجتماعية التي أنتجته.

المعرفة والوعي الجمعي

- يرى غولدمان أن الوعي الفردي لا يمكن فصله عن **الوعي الجمعي**، لأن الفكر الإنساني دائمًا ينشأ داخل جماعة تعبّر عن نفسها من خلال اللغة والثقافة والقيم.

الفرد يعبّر عن رؤية العالم التي تتشكل في نطاق البنية الاجتماعية التي ينتمي إليها، لكنّه في الوقت ذاته يساهم في تطويرها.

المعرفة في العلوم الإنسانية ليست معرفة ذاتٍ منفصلة، بل **نتاج تفاعل اجتماعي وثقافي** دائم بين الأفراد والجماعة.

وهكذا يصبح التفكير الإنساني مرآةً للوجود الجمعي، لا انعكاسًا فرديًا معزولًا.

الوعي الجمعي هو الذي يمنح الفكر معناه ويحوّله إلى قوة تاريخية قادرة على الفعل والتغيير.

التكامل بين الفلسفة والعلم في دراسة الإنسان

- يؤكد **غولدمان** أن العلوم الإنسانية لا يمكن أن تنفصل عن الفلسفة، لأنّ كل معرفة بالإنسان تنطوي على **سؤال وجودي ومعياري** في آنٍ واحد.

فالفلسفة تمنح هذه العلوم إطارها النقدي والقيمي، بينما يقدّم العلم أدوات التحليل والملاحظة.

التكامل بين الفلسفة والعلم ضروري لبناء فهم شامل للإنسان يجمع بين **المعنى والتجربة**، وبين القيم والمعرفة.

فإذا اكتفت العلوم الإنسانية بالتحليل العلمي فقدت بعدها القيمي، وإذا اكتفت الفلسفة بالتأمل المجرد فقدت صلتها بالواقع.

وهكذا يرى غولدمان أن الطريق الصحيح هو **الفكر الجدلي الذي يوحّد بين النظر والعمل، بين الفلسفة والعلم في فهم الإنسان ككائن تاريخي وفاعل.**

الأخلاق والمعرفة في العلوم الإنسانية

- تثير العلوم الإنسانية سؤالاً جوهريًا حول العلاقة بين **المعرفة والأخلاق**: هل يمكن أن تكون دراسة الإنسان محايدة أخلاقيًا؟

يرى **غولدمان** أن أي معرفة بالإنسان تفترض رؤية قيمية، لأن الباحث لا يدرس موضوعًا جامدًا بل كائنًا حرًا يختار أفعاله.

الأخلاق هنا ليست قيدًا على العلم بل شرطًا لفهمه، إذ تمنح النشاط المعرفي بُعده الإنساني.

فالمعرفة التي تتجاهل القيمة تتحول إلى تقنية فارغة، في حين أن **التكامل بين الفهم الأخلاقي والمعرفي** يجعل العلوم الإنسانية قادرة على خدمة الإنسان لا السيطرة عليه.

وهكذا تصبح الأخلاق في هذه العلوم جزءًا من بنائها المنهجي لا إضافة خارجية عليها.

التفسير الاجتماعي للثقافة

- يؤكد **غولدمان** أن الثقافة هي مرآة المجتمع، وأن الأعمال الأدبية والفكرية تعبّر عن **البنية الاجتماعية والنفسية لجماعة بشرية** في لحظة تاريخية معينة.

الثقافة ليست إنتاجًا فرديًا بل جماعيًا، لأنها تتكوّن من رموز ومعانٍ مشتركة تنشأ في إطار الواقع الاجتماعي.

ومن هنا تصبح دراسة الثقافة جزءًا من دراسة الوعي الجمعي الذي يسكن اللغة والفكر والممارسة.

يرى غولدمان أن تحليل الثقافة من منظور اجتماعي لا ينتقص من قيمتها الجمالية، بل يمنحها **بعدًا تفسيرياً أعمق** يربطها بالتاريخ والإنسان.

فالثقافة، في جوهرها، هي الطريقة التي يعبّر بها المجتمع عن رؤيته للعالم.

العلوم الإنسانية والحداثة

- ارتبطت **العلوم الإنسانية** ارتباطًا وثيقًا بمشروع الحداثة الذي جعل الإنسان مركز الكون ومصدر المعرفة.

لكن غولدمان يرى أن هذا المشروع، رغم أهميته، حمل تناقضًا داخليًا؛ إذ جعل الإنسان حرًا من جهة، ومقيّدًا بالبُنى الاقتصادية والعلمية من جهة أخرى.

في ظل الحداثة، أصبحت المعرفة تسعى إلى السيطرة أكثر من الفهم، مما ولّد أزمة في **معنى الإنسان** نفسه.

تأتي العلوم الإنسانية لتعيد التوازن، فتذكّر بأنّ الإنسان ليس مجرد موضوع علمي، بل كائنٌ قيمي ومعنوي.

ومن هنا تصبح هذه العلوم نقدًا للحداثة من داخلها، لأنها تسعى لإعادة المعنى إلى التجربة البشرية.

أزمة المعنى في الفكر المعاصر

- يشير **غولدمان** إلى أن العالم المعاصر يعاني من **أزمة في المعنى** بسبب سيطرة النزعة التقنية والعلمية.

الإنسان المعاصر يعرف كيف يعمل العالم، لكنه لم يعد يعرف لماذا يعيش أو ما الغاية من أفعاله.

هذه الأزمة ليست فكرية فحسب، بل وجودية أيضًا، لأنها تمسّ جوهر التجربة الإنسانية.

العلوم الإنسانية تُسهم في معالجة هذه الأزمة بإعادة بناء **رؤية للعالم تقوم على الفهم، والتأويل، والقيمة** لا على السيطرة المادية.

وهكذا يصبح دورها إعادة وصل الإنسان بذاته وبالآخرين ضمن شبكة من المعاني المشتركة.

العلوم الإنسانية والتقنية

- مع تطور التكنولوجيا، واجهت العلوم الإنسانية تحديًا جديدًا: كيف تحافظ على مركزية الإنسان في عالمٍ تحكمه الآلة؟

يرى غولدمان أن التقنية أداة عظيمة، لكنها قد تتحول إلى سلطةٍ تعيد تشكيل القيم والمعنى.

الإنسان في هذا العصر مهدد بأن يُختزل إلى رقم أو وظيفة داخل نظام تقني.

مهمة العلوم الإنسانية أن **تحمي البعد الإنساني في المعرفة** وأن تذكّر بأنّ الغاية من العلم هي خدمة الإنسان لا العكس.

ومن هنا يصبح الوعي النقدي بالتقنية جزءًا من مسؤولية الفلاسفة والباحثين في العلوم الإنسانية.

أثر العلوم الإنسانية في الفكر العربي الحديث

- امتد تأثير العلوم الإنسانية إلى الفكر العربي منذ مطلع القرن العشرين، حين بدأت الجامعات العربية في ترجمة الفكر الغربي الحديث.

ظهرت دراسات حول اللغة، والمجتمع، والتاريخ، حاولت تطبيق مناهج التأويل والبنيوية والأنثروبولوجيا على الثقافة العربية.

ويرى غولدمان، من منظور فلسفته الجدلية، أن **تفاعل الفكر العربي مع العلوم الإنسانية** يمكن أن يكون سبيلًا لتجديد الوعي الثقافي، شرط ألا يكون نقلًا حرفيًا بل حوارًا نقديًا.

فالفكر الإنساني الحقيقي هو الذي يقرأ التجربة المحلية ضمن سياق عالمي دون أن يفقد هويته.

وهكذا تتيح العلوم الإنسانية للفكر العربي فهم ذاته في ضوء التاريخ والعالم معًا.

الإنسان في ضوء فلسفة القيم

- يرى غولدمان أن الإنسان لا يُفهم إلا من خلال منظومة القيم التي يعيش في إطارها.

القيمة ليست مجرد مبدأ أخلاقي، بل **عنصر تكويني في الوعي الإنساني** يوجّه الفكر والعمل.

فالقيم تمنح الحياة معناها، وهي التي تجعل الفعل الإنساني مسؤولًا ومقصودًا.

العلوم الإنسانية تسعى إلى دراسة القيم لا كقواعد مفروضة، بل كبنى رمزية تعبّر عن هوية الجماعة وتطورها.

وبذلك تغدو دراسة القيم محاولة لفهم الإنسان في أبعاده الأخلاقية والروحية والثقافية.

التكامل بين الفهم العلمي والفهم الإنساني

- يدعو غولدمان إلى **تكامل المنهجين العلمي والإنساني** في فهم الإنسان.

فالفهم العلمي يقدّم التفسير السببي، بينما الفهم الإنساني يقدّم التأويل والمعنى.

الفصل بينهما يؤدي إلى رؤية مبتورة للواقع، أما الجمع بينهما فيخلق معرفة شاملة توحّد بين التحليل والمنظور القيمي.

وهكذا تتحقق وحدة الفكر والوجود، لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يجمع بين العلم والمعنى في تجربته.

فالفهم الجدلي الذي يوحّد هذين البعدين هو ما يجعل العلوم الإنسانية علمًا ذا طابع فلسفي وأخلاقي في آن واحد.

نحو رؤية فلسفية للإنسان المعاصر

- يسعى غولدمان إلى بلورة رؤية فلسفية جديدة للإنسان المعاصر تجمع بين **العقلانية النقدية والوعي الجدلي**.

فالإنسان اليوم يعيش بين العلم والتقنية من جهة، وبين البحث عن المعنى من جهة أخرى.

الرؤية الفلسفية للإنسان يجب أن تكون شاملة، ترى فيه كائنًا حرًا، اجتماعيًا، تاريخيًا، ومنفتحًا على المستقبل.

هذه الرؤية لا تنفي التقدم العلمي، لكنها تدعو إلى **توجيهه نحو خدمة الإنسان والعدالة والكرامة**.

إنّ فلسفة العلوم الإنسانية ليست مجرد تحليل للماضي، بل مشروعٌ لإعادة بناء الإنسان في عالمٍ يفقد إنسانيته.

الخلاصة العامة والكلمة الختامية

- بعد هذه الرحلة الفكرية الطويلة يمكن القول إن **العلوم الإنسانية** تمثل محاولة الإنسان لفهم ذاته في أعمق مستوياتها.

انطلقنا من سؤال المنهج، ومررنا بالفهم والموضوعية، ثم تتبعنا مسار التيارات الكبرى التي أثرت في تشكيل الفكر الإنساني.

خلص **غولدمان** إلى أن دراسة الإنسان لا تنفصل عن فهم البنية الاجتماعية والتاريخية التي يعيش فيها، وأنّ المعرفة الحقيقية هي تلك التي تجمع بين **العقل والتأويل والقيمة**.

إن فلسفة العلوم الإنسانية تذكّرنا بأنّ الإنسان ليس شيئًا يُقاس، بل كائنٌ يُفهم ويُقدّر.

وبذلك تصبح هذه الفلسفة دعوةً دائمة لإعادة الاعتبار للإنسان في زمنٍ فقد فيه المعنى.

أسئلة المراجعة – الجزء الأول (الجانب العلمي)

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل التالية:

- يرى **لوسيان غولدمان** أن منهج دراسة الإنسان يجب أن يقوم على:
  أ. التحليل التجريبي فقط
  ب. الفهم التأويلي الجدلي
  ج. القياس الرياضي البحت
  د. التفسير النفسي الفردي

تتميّز **العلوم الإنسانية** عن العلوم الطبيعية بأنها:
أ. تبحث في الظواهر المادية فقط
ب. تهتم بالقوانين العامة دون المعاني
ج. تدرس الإنسان ككائن واعٍ يحمل القيم والمعنى
د. تعتمد على الحياد الكامل

- وفقًا لغولدمان، **الموضوعية في العلوم الإنسانية** تتحقق عندما:
  أ. ينفصل الباحث تمامًا عن المجتمع
  ب. يُخضع الظواهر للتجريب فقط
  ج. يعي الباحث ذاتيته ويحللها نقديًا ضمن البنية الكلية
  د. يُنكر القيم والمعايير الثقافية

أسئلة المراجعة – الجزء الثاني (الجانب العلمي)

- **البنية التكوينية** عند لوسيان غولدمان تعني:

أ. العلاقة الميكانيكية بين الإنسان والطبيعة

ب. النظام الثابت الذي لا يتغير

ج. التفاعل التاريخي الجدلي بين الفكر والواقع الاجتماعي

د. البنية اللغوية المغلقة للخطاب

يرى غولدمان أن **اللغة** في العلوم الإنسانية هي:

أ. أداة وصف محايدة للواقع

ب. وسيلة للتجريد العلمي

ج. بنية رمزية تُنتج المعنى وتكشف الوعي الجمعي

د. وسيلة لتكرار المعرفة

غلاف كتاب قضايا رئيسية في فلسفة العلوم الإنسانية